# ختان الإناث: كيف نبذت إحدى الأمهات تقليدا متوارثا منذ القدم

**بقلم تيزيانا باروتشي**

قدمت النساء إلى منزلنا باكر صباحا. وأمسكن بى وقمن بإرغامى على الاستلقاء على ظهرى. ثم أمسكن بيدى وساقى بقوة ولم يعد بوسعى التحرك. ثم قمن بالمباعدة بين ساقى وشرعت "الداية" (مولّدة النساء فى القرية) فى القطع. وكان الألم هو العذاب بعينه، وكنت أصرخ بشكل هستيرى".

وكانت عينا نجلاء متوهجتين - ليس من الاحمرار خجلا ولكن من شىء مختلف تماما: من نوع من الشعور بالكرامة والثقة بالنفس، الذى ربما تؤججه ذكريات التجربة المروعة التى مرت بها منذ سنوات عديدة ومثلت علامة فارقة فى حياتها.

وأردفت: "وواصلت الداية القطع لمدة بدت وكأنها الدهر بأكمله. وأنا لا أتذكر كم أستغرق الأمر، ولكننى لم أتخيل مطلقا أننى سأقاسى هذا الألم الذى لا يطاق".

فقد تم ختان نجلاء وهى فى الحادية عشرة من عمرها. وقد تطوعت بمحض إرادتها لإجراء عملية تحظى - فى معظم قطاعات المجتمع المصرى - بالقبول على الصعيد الثقافى ويتم فى كثير من الأحيان تشجيعها. وقد أخبرتها أسرتها بأن ذلك واجبا أخلاقيا يقع عليها وسبيلها الوحيد لكى تصبح امرأة حقيقية.

"وفى اليوم السابق على إجراء هذه العملية، ذهبت لجمع الرماد من أحد الأفران. فقد أخبرنى بعض المحيطين بى بأن الرماد سيساعد على شفاء جرحى، وقد رغبت فى أن أضطلع بنفسى بدور فى هذه العملية التى تمثل نقطة مهمة فى حياتى".

وبعد الختان ببضعة أيام، اكتشفت نجلاء أن الرماد لم يشف جراحها. وبدلا من ذلك، فقد تلوثت جراحها.

**ليس لابنتها**

واليوم تبلغ نجلاء من العمر 26 عاما، وقد تزوجت وأصبح لديها ابنة فى الثامنة من العمر تدعى منى. وحتى شهر يوليو الماضى، كانت نجلاء تعتقد أنه لا خيار أمامها سوى إجراء نفس العملية المؤلمة التى عانت منها هى نفسها لمنى. وظنت أنها ضرورية لكى تتزوج أية فتاة دون أن تلاحقها وصمة عار اجتماعية. ثم قامت والدة نجلاء بإقناعها بحضور حلقة عمل

حول ختان الإناث عقدت فى الإسكندرية. وهناك استمعت إلى علماء الدين والأطباء وغيـرهم من العلماء المختصصين من المنظمات غير الحكومية وهم يناقشون التداعيات المعقدة للختان وعواقبه الجسمانية والفسيولوجية المختلفة. وأقنعها علماء الدين بعدم وجود نص فـى القـرآن يسوغ إجراء هذه الممارسة. ومن ثم فقد أعلنت نجلاء بعـزم وإصـرار قائلـة: " مـن الآن فصاعداً، لن أكترث بما يقوله الآخرون عن ابنتى التى لم تختتن. وبناء على هذا القرار، فإنها ستتجنب معاناة لم تكن لتنساها طوال عمرها. وستنعم بحياة صحية أفضل مما حظيت به كـل من جدتها وأمها. وإذا رفض رجل الزواج منها لأنها لم تختتن، فسـأقف إلـى جانبهـا. إذ لا تصبح الفتاة عاهرة لمجرد أنها لم تجر الختان، وإذا كانت هناك أم تحب ابنتها، فيجب أن تهتم بتعليمها وصحتها أكثر من أى شىء آخر. وهذا هو ما دفعنى للمشاركة فى "برنامج مكافحـة ختان الإناث".

ونتيجة لعملها فى إقناع الآخرين فى ضاحية عين حلوان بالقاهرة، حيث تعيش نجـلاء، فقـد أصبح هناك المزيد والمزيد من النساء اللاتى يغيرن آراءهن بشأن الختان، وهى عملية يقـوم بتشجيعها "برنامج حماية الطفل فى خطر"، وهى عملية للتدخل على الصعيد المجتمعى تضطلع بها هيئة "كير" – وهى إحدى المنظمات غير الحكومية – بدعم من "منظمـة الأمـم المتحـدة للطفولة" (اليونيسف).

وتقوم بعض النساء مثل نجلاء بدور فائق الأهمية فى المشروع – فبعد أن اقتنعن هن أنفسهن بأن ختان الإناث عملية قاسية وغير ضرورية على حد سواء، أصبحن فى وضع أفضل لإقناع الآخرين بتغيير آرائهم. إذ تقوم نجلاء بزيارة المنازل الخاصة والتحدث إلى أفراد الأسر فـى مساعيها الدائبة لتغيير آرائهن بشأن هذه الممارسة. وقد أدت تجربتها الشخصية وإصـرارها الذى لا يلين على "إحداث تغيير"، إلى مساعدتها بالفعل فى إقناع أسر عديدة على عدم إجـراء الختان لبناتهن. وهو إنجاز تشعر نجلاء عن استحقاق وجدارة بالاعتزاز والفخر به.